حوار

مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة..
ذاكرة التراث وحاضنة المعرفة

▪ أجرى الحوار
عبد الحميد عبد الرضا علي الصافي؛ معاون مدير المكتبة
بالتعاون مع الشيخ حسين حسين التميمي

الحلقة الأولى

مقدمة

الآفاق- تُمثّل مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة صرحاً علمياً شامخاً يضطلع بمسؤولية حفظ التراث الفكري والإنساني في العراق. ومنذ تأسيسها عام ١٩٦٣م، شهدت هذه المؤسسة محطات تاريخية مفصلية، وصولاً إلى مرحلة إعادة التأهيل الكبرى بعد عام ٢٠٠٦م تحت رعاية المرجعية الدينية العليا، لتتحول اليوم إلى منارةٍ معرفيةٍ متكاملة تجمع بين أصالة المخطوط وتقنيات العصر.

ولتسليط الضوء على هذه التجربة الثرية، التقت "أسبوعية الآفاق" بسماحة السيد نور الدين الموسوي، مدير مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، في حوارٍ مفصّل استعرضنا فيه مسيرة المكتبة، وما تحتويه من كنوز مخطوطة ووثائق نادرة، وجهود مراكزها المتخصصة في الفهرسة، والرقمنة، والترميم العلمي، فضلاً عن رؤيتها الطموحة لتعزيز التعاون الأكاديمي والبحثي في خدمة الباحثين والدارسين.

١. متى تأسست مكتبة ودار المخطوطات، وما الدافع العلمي الرئيس وراء تأسيسها؟

تأسست مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة عام ١٩٦٣م على يد السيد عباس الكاشاني ﷺ، وكانت تحت رعاية المرجعية الدينية آنذاك، المتمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم ﷺ، وكان اسم المكتبة: (مكتبة الإمام الحكيم العامة - فرع كربلاء).

ثم عيَّن المرجع الأعلى للشيعة آنذاك، السيد الحكيم، بعد إبعاد السيد عباس الكاشاني إلى الجمهورية الإيرانية عام ١٩٧٠م، سماحة السيد عبد الرضا الشهرستاني مكانه، والذي بقي أميناً عاماً للمكتبة لغاية عام ١٩٨٠م، حيث تم إبعاده أيضاً إلى جمهورية إيران الإسلامية.

وفي عهد السيد الشهرستاني تم سحب المخطوطات من الخزانة العباسية، وهي أكثر من (١٠٠٠) مخطوط، وإيداعها في (دار صدام للمخطوطات) من قبل جهاز الأمن البعثي، ولم تحصل مكتبتنا على هذه المخطوطات لغاية الآن.

ومنذ ذلك التاريخ أُهملت المكتبة، وأصبحت تابعة للسدانة العباسية، والتي بدورها كانت تابعة لوزارة الأوقاف العراقية.

وبعد الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١م أُغلقت المكتبة العباسية تماماً، وبقيت مغلقة حتى سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣م.

وبعد سقوط النظام البعثي في العراق والتحول الديمقراطي، تم تأهيل المكتبة تحت رعاية المرجعية الدينية العليا المتمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف)، وتم افتتاحها من جديد تزامناً مع مولد المولى أبي الفضل العباس ﷺ، يوم السابع من شهر شعبان المبارك عام ١٤٢٧هـ، الموافق لعام ٢٠٠٦م.

وأهم أهداف المكتبة هي نشر الوعي الثقافي في المجتمع، والتشجيع على القراءة من خلال توفير أجواء مناسبة للقراء والباحثين ورواد المكتبة.

٢. ما رسالتها اليوم، وما الذي تغيّر في أهدافها أو نطاق عملها مقارنة بمرحلة التأسيس؟

* رسالة المكتبة وأهدافها:

رسالة المكتبة هي: الحفاظ على التراث المعرفي، وتمكين الباحثين والرواد من التأثير الإيجابي في مجتمعهم، عبر توفير بيئة مناسبة للتعلُّم والقراءة، ومركزٍ لإنتاج المعرفة ونشرها.

أما أهداف المكتبة فهي:

١- توفير الخدمات المكتبية للطلبة والباحثين والرواد الكرام.

٢- صيانة وحفظ التراث المخطوط من خلال ترميم المخطوطات، وتصويرها، وحفظها، وتوفير وسائل سهلة للباحثين والجمهور العام للوصول إليها.

٣- إسناد القطاع التربوي والتعليمي في العراق من خلال التعاون مع الجامعات والمكتبات العراقية، وتقديم الدعم لها عبر الخدمات المكتبية.

وبالتأكيد، كانت المكتبة وقت تأسيسها، قبل أكثر من ستين عاماً، تمتلك رسالةً بسيطة نابعةً من بساطة المجتمع؛ إذ كانت الأمية منتشرة بين أفراد المجتمع العراقي، وكانت الحوزة العلمية وحدها تحمل على عاتقها مهمة التعليم من خلال الكتاتيب وتعليم القرآن الكريم في المساجد والعتبات المقدسة.

أما اليوم، فقد أصبح المجتمع العراقي متعلماً، ويحمل الكثير من أبنائه الشهادات الأكاديمية الجامعية والعليا.

لذلك، فإن رسالة المكتبة وأهدافها قد تغيَّرت عما كانت عليه في مرحلة التأسيس، فضلاً عن أن رسالة المكتبة وأهدافها في ذلك الوقت لم تصل إلينا بسبب الظروف القاسية التي كان يمر بها بلدنا العزيز إبان حكم البعث الظالم.

٣. ما حجم المقتنيات بالأرقام (عناوين/مجلدات، دوريات، مراجع)، وما أبرز الموضوعات التي تخدم الدرس الحوزوي؟

* محتويات المكتبة ومراكزها ووحداتها:

تحتوي مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة على مجموعة كبيرة من الأوعية المكتبية المتنوعة، موزعة على قاعتين كبيرتين:

الأولى: القاعة العامة، وهي تتبع النظام المفتوح، وتشمل جميع العلوم عدا علوم اللغة العربية والأدب العربي.

والثانية: قاعة كتب الأدب العربي وعلوم اللغة العربية والدوريات والمجلات المحكمة والرسائل الجامعية الورقية، وتتبع النظام المغلق؛ حيث لا يمكن للباحث اختيار المصدر الذي يحتاجه مباشرة، وإنما يحصل عليه من خلال موظف قاعة الإعارة.

وهناك قاعة ثالثة صغيرة تحتوي على الكتب ذات الطبعات القديمة والنادرة، وهي أيضاً تتبع النظام المغلق؛ حيث لا يُسمح بالحصول على هذه الكتب القديمة إلا للباحثين المتخصصين.

وفيما يلي إحصائية شاملة للأوعية المعرفية الموجودة في المكتبة:

مجموع الأوعية: ٤٠٨,١٩٢
الكتب الإلكترونية: ٦٩,٨٥٨
الرسائل والأطاريح الإلكترونية: ١١٤,٥٧٥
مجموع الكتب الورقية: ٦٥,٤٧١
كتب القاعة العامة: ٤٦,٩٣٥
كتب القاعة اللغوية: ١٦,٢٧١
الرسائل والأطاريح الورقية: ١,٥٧٤
المجلات المحكمة الورقية: ٤,٦٨١
كتب الأدب العربي: ٧,٥١٩
كتب اللغة العربية: ٢,٥١٧
الكتب القديمة والنادرة: ١,٧٨٦

إن مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة تُعد، من الناحية الإدارية، شعبةً تابعةً لقسم الشؤون الفكرية والثقافية بإدارة السيد نور الدين الموسوي، وتحتوي على أربعة مراكز وست وحدات، وهي بالتتابع:

١- مركز الفهرسة ونظم المعلومات
مدير المركز: السيد حسنين أحمد الطيف الموسوي.
ومهام المركز: فهرسة الأوعية المكتبية بكافة أشكالها، وتيسير إتاحتها للباحثين عبر برامج عالمية متطورة وفق نظام (RDA)، وقواعد (Mark٢١).

٢- مركز تصوير المخطوطات وفهرستها
مدير المركز: الأستاذ صلاح مهدي السراج.
ومهام المركز: تصوير المخطوطات وحفظها، وتسهيل وصول الباحثين إليها عبر أجهزة تصوير متطورة عالية الدقة، وظروف خزن آمنة، وبرامج فهرسة وإتاحة متطورة.

٣- مركز الفضل لصيانة وحفظ التراث المخطوط والأرشيف الوثائقي
مدير المركز: الأستاذ ليث علي حسين لطفي.
ومهام المركز: صيانة الوثائق والمخطوطات وفق أحدث الطرق العالمية، تبعاً للمدرسة التشيكية لصيانة المخطوطات، فضلاً عن الحفاظ عليها في ظروف خزن مثالية من حيث درجة الحرارة والرطوبة داخل خزانة العتبة العباسية.

٤- مركز المعلومات الرقمية
مدير المركز: الأستاذ عمار حسين الجواد.
ومهام المركز: النشر الإلكتروني للمكتبة، وإتاحة الأوعية المكتبية بصورة رقمية للباحثين.

كما تتكون المكتبة من عدة وحدات، وهي:

١- (وحدة الإعارة)، وهي المسؤولة عن قاعات المكتبة وترفيف الكتب وإتاحتها للباحثين.

٢- (وحدة التزويد)، وهي المسؤولة عن رفد المكتبة بالمصادر والأوعية المكتبية التي تحتاجها، والتعامل مع دور النشر، والتبادل الثقافي والفكري بين المكتبة والمكتبات الأخرى.

٣- (وحدة الذاتية والخدمات)، وهي المسؤولة عن الموارد البشرية الموجودة في المكتبة، وتنظيم شؤونهم المختلفة.

٤- (وحدة التأليف والدراسات)، وهي متخصصة بدراسات المولى أبي الفضل العباس ﷺ، وتنشر مؤلفات متنوعة حوله.

٥- وحدة التصحيح
وهي المسؤولة عن تصحيف وصيانة الكتب الموجودة في المكتبة والمتضررة بسبب الاستعمال.

٦- وحدة الترجمة
وهي المسؤولة عن ترجمة بعض المصادر العلمية الإنجليزية التي تحتاجها مراكز ووحدات المكتبة.

بالإضافة إلى إدارة المكتبة، والتي تشمل السيد مدير المكتبة ومعاون مدير المكتبة.

الحلقة الثانية من هذا الحوار ستكون في العدد القادم.

مقال

الحوزة العلمية في قم؛ قرن من التحول من الفقه التقليدي إلى التعليم البيني
بمناسبة بداية العام الدراسي الجديد للحوزات العلمية في إيران

✍ رئيس التحرير

بالنسبة لكثير من طلبة العلم وأساتذة الحوزات العلمية الشيعية، ارتبط اسم الحوزة العلمية في قم أكثر من أي شيء آخر بالفقه والأصول ودرس الخارج والاجتهاد. هذه الصورة، وإن كانت قائمة على واقع لا يمكن إنكاره، لم تعد تعكس الواقع كله. فقد شهدت حوزة قم خلال القرن الماضي، من دون أن تبتعد عن هويتها الاجتهادية، تحولاً عميقاً في بنيتها التعليمية والبحثية؛ تحولاً جعلها اليوم واحدة من أوسع منظومات تعليم العلوم الإسلامية في عالم التشيع.

فإذا كان المسار العلمي للطالب في زمن مضى ينتهي تقريباً عند الفقه والأصول، فإن أمامه اليوم، إلى جانب ذلك المسار التقليدي نفسه، عشرات التخصصات ومئات الاتجاهات العلمية؛ من علوم القرآن والحديث، إلى الفلسفة والحقوق والتاريخ والإعلام والثقافة والفن والدراسات البينية. وقد جاء مشروع «شجرة التخصصات والاتجاهات في العلوم الإسلامية»، الذي أُعدّ بمشاركة أكثر من خمسمئة أستاذ حوزوي، ليصوغ هذا التحول في قالب ستة عشر حقلاً معرفياً وأكثر من أربعمئة تخصص واتجاه؛ وهو مشروع يكشف أن النظرة إلى التعليم الحوزوي دخلت مرحلة جديدة.

هذا التحول يطرح سؤالاً جدياً أمام كل ناظر من الخارج: هل ما تزال حوزة قم هي المدرسة الفقهية ذاتها التي تأسست قبل قرن، أم ينبغي اليوم النظر إليها بوصفها مؤسسة متعددة التخصصات للتعليم والبحث في العلوم الإسلامية؟ والإجابة عن هذا السؤال لا تكون ممكنة من دون معرفة تاريخ هذه الحوزة وبنيتها ومسار تحولها.

جذور تمتد إلى النجف

تأسست حوزة قم العلمية في عام ١٣٤٠ بعد الهجرة، بجهود آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي ﷺ؛ الفقيه الذي تربّى هو نفسه في حوزتَي النجف الأشرف وكربلاء المقدسة. ولذلك، لا ينبغي عدّ نشأة حوزة قم بداية تقليدية جديدة، بل امتداداً لذلك الإرث العلمي نفسه الذي تشكّل على مدى قرون في حوزات العراق.

وقد ظهر هذا الارتباط منذ السنوات الأولى. فحضور مراجع وأساتذة بارزين كانت لهم صلة علمية بحوزة النجف، جعل قم في وقت قصير تتحول إلى أحد أهم مراكز جذب طلبة العلم. وتتحدث الروايات التاريخية عن حضور أكثر من ألف طالب في السنوات الأولى لنشاط هذه الحوزة؛ وهو رقم كان في ذلك الزمن دليلاً على النمو السريع والمكانة العلمية المتنامية لها. ومع ذلك، لم تكن أهمية عمل الشيخ عبد الكريم الحائري ﷺ تنحصر في تأسيس مركز تعليمي فحسب. فما أرساه كان مؤسسة استطاعت، على مدى قرن كامل، أن تتكيف مع الظروف المتغيرة للزمن، من دون أن تفقد هويتها الاجتهادية.

من التعليم التقليدي إلى النظام التعليمي

ينبغي البحث عن التحول الأساسي لحوزة قم في طريقة تنظيم تعليمها. ففي الماضي، كان التعليم الحوزوي يقوم أساساً على العلاقة بين الأستاذ والتلميذ، وحرية اختيار الدرس، ومسار علمي واحد إلى حد ما. وما تزال هذه الطريقة محفوظة حتى اليوم في دروس الخارج وعملية الاجتهاد، لكن إلى جانبها تشكّلت بنية رسمية للتخطيط التعليمي، تتولى وضع سياساتها هيئة تُعرف بالمجلس الأعلى للحوزات العلمية.

وكانت الثمرة المهمة لهذا التوجه صياغة «شجرة التخصصات والاتجاهات في العلوم الإسلامية»؛ وهو مشروع أُعدّ بمشاركة واسعة من أساتذة الحوزة، وحاول لأول مرة تنظيم جميع المعارف الحوزوية في إطار خارطة شاملة. وبحسب هذا المشروع، صُنّفت العلوم الإسلامية في ستة عشر حقلاً معرفياً، وحُدّد لها أكثر من أربعمئة تخصص واتجاه. صحيح أن هذه التخصصات جميعها لم تدخل بعد مرحلة التنفيذ، غير أن هذه الخارطة التعليمية بحد ذاتها تكشف أن صانعي السياسة في الحوزة قد حدّدوا مستقبل التعليم في مسار التخصص.

وأهمية هذا التحول لا تكمن فقط في زيادة عدد التخصصات، بل في التغيير الذي طرأ على فلسفة التعليم نفسها. فحتى عقود قليلة مضت، كان يُنتظر من الطالب أن يحصّل معرفة عامة في جميع فروع العلوم الإسلامية، ليصل في النهاية إلى مرتبة الاجتهاد. أما اليوم، فقد أصبح تأهيل الباحث المتخصص، إلى جانب هذا المسار، أحد الأهداف الرسمية للحوزة أيضاً.

أربع خطوات نحو الاجتهاد

انعكس هذا التحول أيضاً في البنية الدراسية للحوزة. فالتعليم الرسمي في الحوزة يقوم على أربعة مستويات؛ نظام اعترفت به وزارة التعليم العالي الإيراني أيضاً، وحُدّد لكل مستوى فيه معادل جامعي. وعلى هذا الأساس، يُعدّ المستوى الأول معادلاً للدبلوم العالي، والمستوى الثاني معادلاً للبكالوريوس، والمستوى الثالث معادلاً للماجستير، والمستوى الرابع معادلاً للدكتوراه.

ويتعلم الطالب في المستوى الأول، على مدى نحو ست سنوات، الأدب العربي والمنطق والعقائد ومبادئ الفقه والأصول وغيرها من العلوم الأساسية. وهذه المرحلة هي مرحلة بناء الأسس العلمية أكثر من كونها زمن تخصص. وفي المستوى الثاني، تدخل دروس الفقه والأصول مرحلة الاستدلال، وتحتل الفلسفة والتفسير وسائر العلوم الإسلامية مكانة أبرز. غير أن السمة المهمة لهذه المرحلة هي إتاحة إمكانية الدخول في التخصصات؛ وهي النقطة التي لا يبقى بعدها مسار جميع الطلبة واحداً.

وفي المستوى الثالث، يتابع الطالب، إلى جانب حضوره دروس الخارج، بحثاً تخصصياً في أحد فروع العلوم الإسلامية، وتنتهي هذه المرحلة بكتابة أطروحة. أما المستوى الرابع فهو مرحلة النضج العلمي والاستعداد للاجتهاد، وتقترن بكتابة رسالة علمية.

وقد يبدو هذا التقسيم، للوهلة الأولى، شبيهاً بالبنية الجامعية، لكن الفارق الأساسي هو أن جميع هذه المراحل ما تزال قائمة على محور السنّة العريقة للاجتهاد والحضور في حلقة درس كبار الأساتذة. فالبنية الجديدة لم تحل محل التقليد، بل حاولت أن تجعله أكثر انتظاماً وكفاءة.

وفي النظام التعليمي الجديد للحوزة، يبدأ التخصص منذ نهاية المستوى الأول. فالطالب، وهو يواصل مساره الأساسي في الفقه والأصول، يستطيع أن يختار أيضاً أحد الحقول التخصصية للبحث الأعمق. وهذه النقطة، ربما أكثر من أي مؤشر آخر، تُظهر الفرق بين حوزة قم اليوم وحوزة قم قبل نصف قرن.

وقد حُدّدت اليوم ستة عشر حقلاً معرفياً بوصفها المحاور الأساسية للتعليم التخصصي. وقد تبدو هذه التقسيمة، للوهلة الأولى، مجرد مجموعة من العناوين التعليمية، لكن مع قليل من التدقيق يتضح أن كل واحد من هذه الحقول يمثل إجابة عن جزء من احتياجات العالم المعاصر الفكرية والاجتماعية.

وعناوين الحقول المعرفية المذكورة هي:

١. حقل «القرآن» المعرفي
٢. حقل «الحديث» المعرفي
٣. حقل «الفقه والأصول» المعرفي
٤. حقل «الفقه والحقوق والقضاء الإسلامي» المعرفي
٥. حقل «الكلام والأديان والفرق والمذاهب» المعرفي
٦. حقل «المنطق والفلسفة والعرفان» المعرفي
٧. حقل «اللغة والأدب العربي» المعرفي
٨. حقل «الأخلاق والتربية والإرشاد» المعرفي
٩. حقل «التاريخ والسيرة» المعرفي
١٠. حقل «التبليغ والاتصال» المعرفي
١١. حقل «الثقافة والفن والحضارة الإسلامية» المعرفي
١٢. حقل «الاقتصاد الإسلامي» المعرفي
١٣. حقل «العلوم الاجتماعية» المعرفي
١٤. حقل «العلوم السياسية» المعرفي
١٥. حقل «علم النفس» المعرفي
١٦. حقل «الإدارة» المعرفي

صورة ينبغي تصحيحها

إن استعراض هذه التخصصات ليس مجرد قائمة تعليمية، بل هو صورة جديدة لحوزة قم. والواقع أن حوزة قم ما تزال معروفة بالفقه والأصول، وهما العمود الأساسي لهويتها العلمية. لكننا إن اعتبرنا هذين العلمين الصورة الوحيدة القائمة للحوزة، نكون قد أغفلنا جزءاً مهماً من واقعها اليوم.

فما حدث في القرن الماضي لم يكن إضافة بضعة تخصصات إلى المنهج الدراسي فحسب، بل كان نوعاً من توسيع آفاق التعليم الحوزوي. فحوزة قم، من دون أن تبتعد عن نواتها الاجتهادية، سعت إلى أن تضم في بنيتها الرسمية فروعاً جديدة من المعرفة الإسلامية أيضاً، وأن تحدد لكل واحد منها مساراً تعليمياً وبحثياً مستقلاً. وبعبارة أخرى، ما يزال الفقه عمود خيمة حوزة قم؛ لكنه ليس البناء كله.

قم؛ مدينة تحولت إلى قِبلة عالمية للمعرفة الدينية

لا يمكن فهم تحول الحوزة العلمية في قم من خلال المناهج الدراسية أو تنوع التخصصات وحدها. فأحياناً ينبغي قياس اتساع مؤسسة علمية من أبعادها الإنسانية والتنظيمية. واليوم تستضيف قم نحو مئة ألف طالب علم؛ طلاب قدموا، إضافة إلى جميع محافظات إيران، من قرابة مئة دولة حول العالم لدراسة العلوم الإسلامية في هذه المدينة. وإلى جانب هذا الحضور العلمي، ينشط في قم ما بين مئتين وثلاثمئة مركز تعليمي وبحثي؛ من المدارس العلمية والمؤسسات التخصصية إلى مراكز الأبحاث ومراكز الدراسات والمؤسسات التعليمية، يحمل كل منها جزءاً من عبء التعليم وإنتاج المعرفة الدينية.

وهذه الأرقام، بالطبع، ليست لبيان حجم مجموعة فحسب. فأهميتها الحقيقية تكمن في أنها تكشف عن المكانة الجديدة لقم في الجغرافيا العلمية لعالم التشيع. فقم اليوم ليست مجرد مدينة يُدرَّس فيها الفقه والأصول؛ بل تحولت إلى شبكة واسعة من التعليم والبحث وإنتاج الفكر وتأهيل الكوادر البشرية للمجتمعات الشيعية في مختلف بقاع العالم. فكثير من خريجي هذه الحوزة يعودون بعد انتهاء دراستهم إلى بلدانهم، ويعملون في الجامعات والمراكز الدينية والمؤسسات الثقافية والتعليمية. ومن هذا المنظور، لا يمكن تقييم تأثير حوزة قم ضمن الحدود الجغرافية الإيرانية فحسب.

التقليد والتحول؛ وجهان لعملة واحدة

ربما تكون أهم نقطة يمكن استخلاصها من استعراض قرن من تجربة حوزة قم، هي أن التحول لا يعني بالضرورة القطيعة مع التقليد. ففي الأدبيات العامة، يُتصوَّر أحياناً أن أي تغيير في البنى التعليمية للحوزة يعني الابتعاد عن أسلوب التعليم والتربية التقليدي. غير أن تجربة قم، على الأقل بحسب ما تُظهره وثائقها الرسمية، تطرح أمامنا رواية مختلفة.

ففي هذا النموذج، ما يزال الاجتهاد قمة التعليم الحوزوي، وما يزال درس الخارج المحور الأساسي للتربية العلمية، وما زال الفقه والأصول محتفظين بمكانتهما المحورية. وما تغيّر ليس هوية الحوزة، بل طريقة استجابتها للاحتياجات الجديدة. فالتخصص، وتطوير الدراسات البينية، وتنظيم التعليم، ليست محاولة لإحلال بديل عن التقليد، بل هي جهد لتمكين ذلك التقليد نفسه من مواجهة الأسئلة التي يطرحها العالم المعاصر أمام الفكر الديني. وربما يمكن القول إن حوزة قم، خلال القرن الماضي، لم تكن تسعى إلى تغيير وجهتها بقدر ما أعادت بناء أدوات الوصول إلى تلك الوجهة.

قم والنجف؛ تجربتان وإرث واحد

لا ينبغي تفسير هذا التحول على أنه تنافس بين الحوزات الشيعية الكبرى. فقم والنجف كلتاهما تقومان على أساس تقليد مشترك، محوره الاجتهاد والاستنباط وإنتاج المعرفة الدينية. والفارق هو أن كلاً منهما سلكت مساراً مختلفاً، بما يتناسب مع ظروفها التاريخية والاجتماعية والثقافية. فقم، إلى جانب الحفاظ على تقليد الاجتهاد العريق، اتجهت نحو إنشاء بنى تعليمية رسمية، وتوسيع التخصصات، وتطوير مراكز البحث. أما النجف فقد تابعت تجربتها وخصائصها الذاتية في الحفاظ على تقاليد التعليم الحوزوي.

ومعرفة هذه الفروق ضرورية، لا لغرض مقارنة تنافسية، بل لفهم القدرات المتنوعة لحوزات الشيعة. فكلما ازدادت المعرفة المتبادلة ببنى هذه المراكز العلمية، اتسع المجال أمام التعاون العلمي وتبادل الخبرات والحوار الفاعل بينها.

كلمة أخيرة

إذا كان بالإمكان قبل قرن وصف الحوزة العلمية في قم ببضع مدارس وحلقات درس قليلة ومجموعة من الأساتذة البارزين، فإن هذا التعريف لم يعد اليوم كافياً لبيان الواقع. فحوزة قم اليوم مؤسسة ذات بنية تعليمية واضحة، ومسارات دراسية محددة، وعشرات الحقول التخصصية، ومئات الاتجاهات العلمية، وشبكة واسعة من المراكز التعليمية والبحثية؛ مؤسسة تحاول، إلى جانب وفائها لتقليد الاجتهاد، أن تُعدّ نفسها أيضاً لمواجهة القضايا المعقدة للعالم اليوم. ولهذا، ربما يكون أدق وصف لحوزة قم هو أنها جسر بين التقليد والتجديد؛ مؤسسة لم تنقطع عن ماضيها، ولا تُعرّف مستقبلها بأدوات الماضي. وربما يكون أهم إنجاز لهذه التجربة، لا زيادة عدد التخصصات ولا توسع المراكز التعليمية، بل التغيير في النظرة إلى رسالة الحوزة؛ رسالة أصبحت اليوم، إلى جانب تخريج المجتهدين، تعدّ تأهيل باحثين متخصصين في مختلف فروع العلوم الإسلامية جزءاً من مهمتها أيضاً.

وهذا هو التغيير عينه الذي يجعل من غير الممكن، مع بداية القرن الثاني من عمر الحوزة العلمية في قم، أن تُسمّى بعد الآن مجرد «حوزة فقهية»؛ لأن قم اليوم، إلى جانب كل ما كانته، تحولت أيضاً إلى واحدة من أهم مؤسسات تعليم العلوم الإسلامية والبحث فيها في العالم المعاصر.

الآفاق
• السنة الرابعة
• الـ ١٦٢
• الإثنين ٢ ربيع الثاني ١٤٤٨ هـ.ق
• ٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
• مركز إدارة الحوزات العلمية
• المشرف: رضا رستمی
• مدير التحرير: علی‌رضا مکتب‌دار بمساعدة الهيئة التحريرية
• هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
• ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
• العنوان: قم، شارع جمهوری، زقاق ٢، رقم ١٥
• الموقع: www.ofoghhawzah.ir
• البريد الالكترونی: info@ofoghhawzah.ir
• مسئول الطبع: مصطفی اویسی
• طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨ +

شعر وقصيدة

في رثاء الإمام محمد الباقر ﷺ

قف بالبقيع وجنّة الأطهار
وَانْعَ المطهرَ باقرَ الأنوار

وتوَلِّه إنَّ الولاية منحة
لذوي العقول من العزيز الباري

شمس تكفلها الإله وصانها
عن ظلمة الأوهام والأوزار

ورث التقى من جده سبط الهدى
ذاك الحسين وشعلة الأحرار

بدمائه الإسلام أصبح شامخا
فوق الطباق السبع والأستار

بقر العلوم الباقيات كحيدر
ملأ الدنا علماً كضوء نهار

إن كنت تجهله فتلك معرة
هو حافظ الدنيا من الأخطار

لولاهم ساخ الوجود فهل ترى
شيئا يقوم بغير وجه الذاري

مشكاة بهجتها وموطن نورها
وبيان أمر الواحد الجبار

لكنما إبليس هيئ جنده
لقتال نسل المرسل المختار

فعدا هشام الجاهلية باعثا
بالسم إبهٍ عصبة الغدار

وإذا به نحو البقيع مسيره
جنبا بجنب مراقد الأخيارِ

وكأنها الزهراء نادت إبنها
أبُنَيَّ دعها واسكننَّ جواري

فغداً نقوم إلى القضاء وبيننا
حكم الإله الواحد القهار

فهناك موطن من أراد قتالنا
جمعا بأسفل سافل في النار

نصيحة نفسية

التغافلُ استراتيجيّةٌ نفسيّةٌ ذكيّةٌ تحميك من استنزاف طاقتك في معارك لا طائل منها، عبر العفوِ عن الصغائرِ حِفظاً لسلامِك الداخلي.

مارِس المرونةَ في المواقفِ غيرِ المُضرّةِ؛ فالتنازلُ هنا ليس ضعفاً بل هو رُقيٌّ يجعلك تتسامى فوقَ صراعات "الأنا" الصغيرة.

تذكّر أنَّ الرابحَ الحقيقيَّ هو من يختارُ السلامَ والسكينةَ على الانتصارِ في نقاشاتٍ عابرةٍ، مما يمنحهُ تفوّقاً نفسيّاً وهدوءاً مستداماً.

نرحب بآراء القراء الأعزاء عبر البريد الالكتروني التالي

Alafagh1444@gmail.com